رواية

كشف الماضي



د. إيهاب سلام

كشف الماضي

رواية

د . إيهاب سلام

- المؤلفات :
- الكتب السياسية والاقتصادية :

- الرقابة السياسية على أعمال السلطة التنفيذية ، مكتبة عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٣ .
- العمالة وفرص العمل ، كتاب الأهرام الاقتصادي ، ١٩٩٨ .
- القرارات الاقتصادية بين الفرد والمجتمع ، كتاب الأهرام الاقتصادي ، ٢٠٠٠ .
- الانتخابات ، موسوعة الشباب السياسية ، ٢٠٠١ .

* الدول بين التخلف والتقدم ، كتاب الأهرام الاقتصادي ، ٢٠٠٢

- الروايات والمجموعات القصصية
- اللقمة في يد النساء ١٩٧٧
- بذور ١٩٨١
- وقائع غير مرئية تحت الشمس ١٩٨٧
- لآلئ الزمن الخالي ١٩٧٨
- خذ الحذر ١٩٨٨
- غالباً ما يتفتح الزهر ١٩٨٨

- السفر إلى زمن ميت ١٩٨٩
- بعد فوران الحمم ١٩٨٩
- الدكاكين الصغيرة ١٩٩٠
- لو أعلنت الحقيقة ١٩٩١
- نفحات من العطر المعتق ١٩٩١
- العودة إلى الحياة ١٩٩١
- مازلت أتألم ١٩٩٢
- انقلاب في الثلاثين ١٩٩٣
- الجري وراء الأهواء ١٩٩٣
- الميراث ١٩٩٤
- سلام الذئاب والحملان ١٩٩٤
- المصيدة الكبرى ١٩٩٥
- شقة الهوى والهوان ١٩٩٦ (صدرت بتمويل من اتحاد كتاب مصر)
- الحب بالإكراه ١٩٩٩صدرت في سوريا
- ليالي الزعبلاوي ١٩٩٩ صدرت في سوريا
- ملكة الأرخبيل ١٩٩٩صدرت في سوريا
- دوامة بلا حدود١٩٩٩ في سوريا و٢٠٠٠ في مصر
- الهجرة من المستنقع ١٩٩٩
- مهاجر من إسرائيل ٢٠٠٠
- الهارب من النار ٢٠٠٢
- الخداع يعود بثوب جديد ٢٠٠٢

- **فندق الشقاء الأزرق٢٠٠٢**
- **الميت الحي ٢٠٠٢**
- **أين الكموني ٢٠٠٢**
- **المتعة عند الغروب ٢٠٠٢**
- **الأخوان نار ونور ٢٠٠٢**
- **حرب الصقور ٢٠٠٤**
- **لغة بلا كلمات ٢٠٠٤**
- **بين المهمشين ٢٠٠٤**
- **الخطيئة والندم ٢٠٠٤**
- **دار النشر الإلكتروني :**
- **الطريق إلى الإصلاح السياسي ٢٠٠٥**
- **توصيات اقتصادية ٢٠٠٥**
- **عبور الخط الأحمر ٢٠٠٥**
- **ذكريات فضيلة ودليلة ٢٠٠٥**
- **اعترافات الورد والشوك ٢٠٠٥**
- **الأهوج ٢٠٠٥-**
- **أيامي الأخيرة ٢٠٠٥**
- **كشف الماضي ٢٠٠٥**
- **السلطات العامة (القوى القديمة في صور جديدة) ٢٠٠٥**
- **السيادة بين الاقتصاد والسياسة ٢٠٠٥**

(١)

الاكتشاف

اكتشف العـالم توفيـق جعفـر أن الإنسـان والحيـوان والحشرات تترك صورتها في المكان الذي تحل فيه وتتركه ، وذلك من خلال إشعاع حراري يصدر عنها . وعرف أن هذه الإشعاعات الحرارية تختلف من شخص إلى آخر كالبصمة . ولها درجة معينة من كائن حي إلى آخر . بـل اكتشـف أن درجة هذه الإشعاعات تقل من زمن إلى آخر لكنها لا تتلاشى أو تختفي . وتبقى هذه الإشعاعات في المكان لا تتحرك منه ، فهي إشعاعات حرارية ثابتة بعكس الإشـعاعات الأخـرى كالضوء والحرارة العادية وسماها لـذلك إشـعاع حـراري حيوي . كما اكتشف أيضـاً أن الصـوت لا يمـوت . بـل

يضمحل . فإذا تكلم شخص في مكان معين مقفل منذ فتـرة زمنية بعيدة تبقى الموجات الصوتية لا تبرح المكان إلـى أن يستطيع واحد أن يقويها ويلتقطها فتنطق . ولكـن الصـوت الذي انطلق منذ ألف عام يختلف عن الصوت الذي انطلـق منذ يوم واحد .

كان على العالم توفيق جعفر أن يخترع جهازاً يسـترجع هذه الإشعاعات الحرارية الحيوية ويحولها إلى صور . كمـا يتمكن هذا الجهاز أن يسترجع الأصوات التي صدرت مـع هذه الإشعاعات الحرارية الحيوية .

استغرق عمل العالم توفيق جعفر عشرين سنة حتى اهتدى إلى هذا الاختراع المذهل العجيب . حيث تمكن من أن يشاهد الصور التي حدثت في مكان معين في زمان معين بصـوت معين . وهو يستطيع أن يقرب الإشعاعات تماماً ويقلبها فـي هذا الجهاز إلى صور متحركة ناطقة واضحة . لقد تمكن في البداية أن يعرض الصور الحرارية غير واضـحة المعـالم كأنها عفريت من العفاريت تمشي وتتكلم . ولم تكن أصواتها واضحة . ثم استطاع من خلال تقنيـة معينـة أن يعـرض الصور الحرارية واضحة المعالم حتى إذا نظر الإنسان إلـى

صورة الشخص متحركة عرف من يكون إذا كان يعرفه من قبل أو كأنه يشاهد فيلما تتحرك فيه الصور بأصواتها .

وتمكن العالم توفيق جعفر أن يسجل هذه الصـور وتلـك الأصوات التي تحدث في مكان معين في زمان معين . بـل إنه سجل ما حدث قبلها من صور في نفس المكان في أزمنة سابقة أو أزمنة لاحقة . مادام يضبط المؤشر على الزمن .

لكن العالم توفيق جعفر خشي أن يعلن اختراعه فيسـتفيد منه الأشرار ويتمكنون من الاستيلاء عليـه والعيـث فـي الأرض فساداً ، فهم يستطيعون أن يعرفوا به الأرقام السرية للخزائن والشفرات المختلفة ويعرفون أيـن تخبـأ الجـواهر والأموال وذلك بتتبع الأشخاص في الزمن الماضـي وهـم يخبئون أو يكتبون أرقامهم السـرية أو يضـعون شـفرات رسائلهم . ولو أنه سيكون مفيداً لوزارة الأمن العام ذلك لأن هذا الجهاز أو هذه الأجهزة بالأحرى سوف ترشد عن القاتل والسارق ذلك لأن الأجهزة سوف تصـور الجريمـة وقـت حدوثها وبصورة واضحة وخطوات محددة . وتبين من الذي طعن المجني عليه ومن هو الجاني . ومـن اسـتولى علـى الأشياء المسروقة نقوداً أو مجوهرات أو غيرهمـا . ولمـن

تكون هذه الأشياء إذا ما صرح الجاني بذلك أثنـاء ارتكـاب الجريمة . وحجب الاختراع عن الناس والحكومة خشـية أن تعمل الجماعات الشريرة أو الأفراد سـيئو السـمعة علـى اقتناص الاختراع والعمل على اغتيال العالم أو حجزه حتـى يصون الاختراع لو حدث فيه عطب . فلم يعلنـه خشـية أن يصاب بضرر ! ..

لم يكن الشر قد اختفى في القرن الثامن والعشرين . كان لا يزال مستفحلاً . وكان الخير في الجانب الآخر يعمل على استئصاله . خشي العالم توفيق جعفر علـى نفسـه مـن أن تتعرض للإيذاء . وخشي إذا سلم الاختراع إلى السلطات أن تتحول السلطات من أجهزة تعمل لخير البشر إلـى أجهـزة تعمل ضد البشر . ولكنه أخبر ابنه وليد توفيق جعفر بقصـة اختراعه وطلب منه أن يصون السر ولا يذيعه وإذا ما تخرج من كلية الهندسة سوف يعلمه كيـف يخترعـه وحـده دون مساعدة أحد .

كان وليد في السنة الحادية عشرة من المرحلة التعليمية . وكان لا يزال أمامه خمس سنوات حتى يسـتكمل تعليمـه . ولكنه كان ذكيا مثل أبيه فاستوعب سر الاختراع .

وقرر الأب والابن محاربة الشر في دولتهم بالكشف عـن المجرمين وذلك بالانتقال إلى أماكن ارتكاب الجرائم وتشغيل الأجهزة والكشف عن صور ارتكاب الجريمة .

(٢)

مقتل السيدة العجوز

جريمة كاملة ، نشرت الصحف وقائعها . مقتل عجوز في حمامها . قرأ العالم توفيق جعفر القصة كاملة ، فقد اكتشفت الشرطة غرق سيدة عجوز ثرية في شقتها في الحمام . وقـد تعفنت الجثة من أثر المياه المتدفقة وصورت الجريمة علـى أنها غرق للسيدة في بانيو الحمام أثنـاء اسـتحمامها لكـن الطبيب الشرعي أثبت أنها ماتت مخنوقة قبل الغرق . وظل القاتل مجهولاً بل ثبت أن المجوهرات والذهب اللذين تملكهما العجوز على حاله فكأن القاتل يريـد أن يثبـت أن العجـوز تعثرت وماتت غرقاً . ولما اتهم الوارث الوحيد للعجوز وهو

ابن أختها ، برأ نفسه بأنه كان مسافراً خـارج العاصـمة . وشهد شهود على تواجدهم معه فـي المصـيف . وتسـاءل محرر صفحة الحوادث ولم لا يكون هـو المحـرض علـى ارتكاب جريمة القتل ، أمر بارتكاب الجريمة وهو بعيد عـن مسرحها حتى لا يشك فيه أحد ؟ .. . غير أن أحداً لم يستطع أن يؤكد هذا الافتراض .

قال العالم توفيق لأبنه وليد : حان الآن وقت إعمال أجهزة الكشف عن الماضي يا ولدي ؟ .. سأل الولد : كيف ؟ .. هل ستعلن عنه ؟ ..

قال : لا .. إنما سنذهب معاً إلى شقة العجـوز ونسـجل الإشعاعات الحرارية الحيوية وقت ارتكاب الجريمة ونكتشف بذلك صور المجرم أو المجرمين القتلة أو نكتشف أنها ماتت غرقاً وأن عنقها قد تم لويه قضاء وقدراً .

سأل وليد مستغرباً : وكيف ستدخل شقة العجـوز وهـي مقفلة بأمر الشرطة لا شك في ذلك ؟ ..

قال توفيق : سنذهب أولاً لاكتشاف هيكل مفتاح الشـقة . وسنقوم برسمه . ثم نصنع واحداً شبيها به . ثم ندخل .

سأل الابن : أليس في ذلك خطر ؟ ..

قال : لو تم القبض علينا فسـوف نكشـف عـن وجـود الاختراع لا محالة .

ووجه توفيق جهازاً صغيراً أمام قفل شقة العجوز ، ووليد يراقب الحركة على السلم ، والناس نيام ، وتمكن الجهاز من رسم مقاسات المفتاح واحتفظ بها . وفي فيلا العـالم توفيـق جعفر صنع صورة طبق الأصل من المفتاح . وفكر في هذه اللحظة العالم توفيق جعفر أن يخترع مفتاحاً يتشكل طبقاً لقفل الباب ويفتحه على الفور بدلاً من أخذ المقاسات والعودة إلى البيت لصناعة المفتاح المناسب ولكن أرجأ ذلك الاختراع لما بعد .

وفي الليل خلع العالم الشمع الأحمـر دون أن يخدشـه ، وفتح الباب ودخل وابنه وليد بصحبته يحمل معه الأجهـزة . كان العالم يحمل جهاز الكشف عن الإشـعاعات الحراريـة الحيوية وتحويلها إلى صور ، وكان الابـن يحمـل جهـاز تسجيل تلك الإشعاعات والصور المتحركـة الناتجـة عنهـا والأصوات أيضاً .

ضبط العالم توفيق الجهاز الأول علـى الوقـت الحـالي ووقت ارتكاب الجريمة السابع من شهر يونيه عام ٢٧٨٥ .

وتحرك الجهاز ليلتقط الإشعاعات الحرارية ويحولهـا إلـى صور ، وأصوات . والجهاز الآخر يسـجل الصـور والأصوات . وشاهد وليد الصور تبدأ في الظهور كأنها لفيلم يحمض في المعمل . حتى تكشف أمام المشاهد صور اليـوم الأول لارتكاب الجريمة وظهرت صور المجرم القاتل وهـو يدخل الشقة . يتبعه ثلاثة آخرون . لم يكن فرداً واحداً إنمـا أربعة أفراد . ثم صدرت أصواتهم هامسة تتكلم :

- يبدو أنها تستحم .
- نعم .. أنا اسمع خرير الماء .
- إنها تغني في الحمام .
- سوف تندب حظها بعد قليل .. تنوح كالثكالى .
- لندخل إليها وهي تستحم . حتى إذا ما قتلناها قالوا إنها غرقت في شبر ماء .

ثم كشف الجهاز عن اختفاء المجـرمين مـن الصـالة . وذهابهم إلى ناحية الحمام .

حرك توفيق الجهاز معه إلى الحمام . هناك بدأت الصور تظهر من جديد . صرخت العجوز وهي تراهم يدخلون عليها :

- من أنتم ؟ ..

قال كبيرهم : جئنا نقطف روحك يا يانعة .

تساءلت : لم ؟ .. ماذا فعلت ؟ ..

قال : هذه أوامر المعلم الكبير .

سألت : من هو المعلم الكبير .

كانت تحاول أن تخفي جسدها العاري . وماء الدش يمـلأ البانيو . قال المجرم الكبير : إنه ابن أختك المحروس دفع لنا لنقتلك ليستولي على أطيانك وعقاراتك مقابل مبلغ كبير مـن المال .

قالت ، وهي لا تزال تخفي صدرها المترهـل العـاري بيديها : أعطيكم أكثر مما وعدكم .. لكن فقط اتركوني أعيش .

قال المجرم الكبير : نحن يا امرأة لا نخرق العهد . بـل نصونه .

شاهد وليد المرأة تصرخ ، فيتقدم منها أحـدهم ، ويكـتم صراخها ، ويضطر أن يلوى عنقها لتسكت فتموت في يده ، فيدفعها إلى الحوض الكبير ، وتهاجمها المياه وتتخلل أنفهـا

وأذنيها وفمها المفتوح ، فتختنق ، وتسلم الـروح . ويخـرج المجرمون الأربعة من الحمام .

يرسل العالم توفيق شريط التسجيل في اليوم التـالي إلـى الشرطة . ويرفق خطاباً يقول : هذا هو الشريط الدال علـى المجرمين الذين قتلوا السيدة العجوز . وقد تم تسجيله بنـاء على اختراع يقوم بجمـع الإشـعاعات الحراريـة الحيويـة المنفصلة عن الإنسان في المكان والزمان . ومنـه يتضـح المجرمون وهم يقتلون السيدة العجوز ويقرون بتحريضـهم على ارتكاب الجريمة وهو ابن أخت العجوز .

عرض الضابط المختص الشريط على رئيسـه . نسـى الجريمة مؤقتاً وطلب منه أن يعرف مكان العالم الذي ابتكـر هذا الاختراع . ولكن العالم توفيق كان قد احكم التخفي مـن الشرطة ، فلم يعرفوا كيف وصل الشـريط إلـى الضـابط المختص . ولم يتمكنوا من أن يعرفوا أين يعيش ذلك العالم . وكيف الوصول إليه ، فاضطر الضابط أن يرجع إلى الشريط ويعيد تشغيله على جهاز فيديو عادي ، وإذ بـه يكتشـف

المجرمين . ويعرفهم من سوابقهم . ويأمر بـالقبض علـيهم وعلى المحرض ابن أخت العجوز .

لم تذع الشرطة شيئاً عن الشريط ولا عن الاختراع الجديد .

(٣)

سرقة المصرف المركزي

اهتزت البلاد على جريمة جديدة هي سـرقة المصـرف المركزي . سرق المجرمون أكثر من مليار جنيه كانت فـي خزينة المصرف ، وتحوطها الحراسة مـن كـل جانـب . واكتشفت الشرطة أن المجرمين تسللوا إلى الخزينة ، وتمكنوا من تخدير الحراس ، واستولوا على المال وهربـوا دون أن يعثر أحد على أثر لهم . كيف لم تعلن أجراس الإنذار عـن دخولهم المصرف ؟ .. وكيف استطاعوا تخدير عشرة حراس على الأقل حول الخزينة ؟ .. وكيف استطاعوا تخدير بـاقي حراس المصرف ؟ .. وكيف عرف المجرمون كلمـة السر التي تُفتح بها الخزينة . احتارت الشرطة .

أرسل العالم توفيق جعفر رسالة إلى وزير الداخلية سرية يعلمه فيها أن بإمكانه أن يكشف عن المجرمين عن طريـق جهاز كشف الماضي بشرط أن يغادر الحراس المصرف ليلاً وأن يدخل هو إلى المصرف من بابه الرئيسـي ، وسـوف يوافي الوزارة بشريط يكشف عن المجرمين وكيفية تسـللهم إلى الخزينة ، وكيفية سرقة الأموال والهروب بها ، وكيف تم وضع المخدر للحرس . ويمكن للحكومة أن تحيط المصرف من الخارج بقوات الشرطة حتى لا تظن أنه سيسرق ويهرب بالغنيمة . واشترط ألا يتعرض له أحد عند الخروج .

نظر وزير الداخلية إلى نائبه وتساءل : ما رأيك ؟ ..

قال : مادام أن الرجل سوف يدلنا على الفاعلين فلا بـأس من أن نجرب .

قال وزير الداخلية : وماذا لو سرق وهرب بسهولة بالمال .

قال النائب : كيف يمكنه أن يهـرب ورجـال الشـرطة يحاصرون المكان . ثم لم لا نفرغ الخزائن من المـال فـلا يتسنى له السرقة إذا كان ينوي أن يسرق .

اتصل العالم توفيق جعفر بوزير الداخلية وسـأله : هـل وافقت على دخولي لتصوير الأحداث التي حدثت عند سرقة المصرف وكذلك الأشخاص الذين سرقوه ؟ ..

سأل : كيف ستصورهم ؟ ..

قال : أعرف أنك شاهدت شريط مقتل السيدة العجوز في حمام منزلها ، فكيف استطعت أن أصوره ؟ .. هل اخترعت الشريط ؟ .. إن الظاهر في الشريط أشـخاص حقيقيـون . والصور تظهر بوضوح أنهم كانوا في منزل السيدة العجوز وأنهم قتلوها في الحمام بلي عنقها وإغراقها .

سأل مستوضحاً : اقصد كيف يمكنك التصوير ؟ ..

أجاب : باختراع جديد . أصور الإشـعاعات الحراريـة المتبقية من الإنسان في فترة معينة من الزمن وأحولها إلـى صور متحركة .

سأل الوزير : ولم لا تسلم الدولة هذا الجهاز الذي تصور به .

قال : أنت تعرف أن التلفاز عندما تم اختراعه كانت لـه مساوئه ومحاسنه . والفيديو كـذلك . والآن جهـاز كشـف الماضي هو اختراع قد يستغله البعض في التشهير بالنـاس

وكشف خباياهم وبذلك يسيئون استعماله فكيف تسمح لي بأن أسلمه للدولة . وهناك بعض سيئي النيـة وقـد يسـتعملونه استعمالاً خاطئاً .

قال : إذن إذا مت ، فسوف يختفي الجهاز مع موتـك ولا يعرف البشر شيئاً عنه رغم أهميته وفائدته .

قال : هناك ابني أعده لذلك .. سوف يحمل الرسالة عني .. وأحفادي .. وأحفادي من بعده .

قال الوزير معترضاً : لا .. يا عزيزي ليس من حقك أن تخفي هذا الجهاز .. إنه ملك الإنسانية فلا تبخل عليها به .

قال : سأفكر .

قال الوزير آمراً : لا تفكر . إن هذا الجهاز سوف يكون رادعاً للمجرمين . سوف يمنع المجرم من أن يرتكب جريمته مهما تخفى فسوف يكشفه .

قال : المهم هل ستسمح لي بمعاينة المصرف الذي تمـت فيه السرقة .

قال : المصرف تحت أمرك .

حمل العالم توفيق جعفر أجهزته ووضعها في سـيارته . وساعده في الحمل ابنـه وليـد . وانطلقـت السـيارة إلـى

المصرف المركزي . هناك وجد العالم توفيق باب المصرف مفتوحا وعدد غفير من الشرطة يحيط المصرف مـن كـل جانب . لم يهتم فأمامه رسالة لا بد من أن يؤديها .

بدأ العالم توفيق في تشغيل الجهاز بتوصيله بالكهربـاء . وضبط الزمن الحالي والزمن في تاريخ واقعة السرقة . وبدأ الجهاز يصور في الصالة ثم بالقرب من الخزينة . وظهـر أمامه على الشاشة الصغيرة أجسام تتحرك . ثم بدأت ملامح الأشخاص تظهر .

وفوجئ أن السارقين بدأوا يوزعون على الحراس شـاياً مخدراً وقالوا ضاحكين لبعضهم البعض : تـذوق الشـاي بالمخدر . هذا أول وآخر مرة تتذوقه . ونام كل الحراس في الصالة الكبيرة ثم دخل السارقون وعـددهم أربعـة ، وهـم يحملون معهم حقائب متينة لجمع مليار جنيه فيهـا . وتجـر بعجل صغير الحجم . دخلوا على حراس الخزينة الكبيـرة ، وأعطوهم كؤوس الشاي الممزوج بالمخدر ليشربوها . وقـد أبطل الرابع أجهزة الإنذار . والثالث يفتح الخزانة بأرقامهـا السرية المعروفة لديه (واتضح فيما بعد أنه المخول بوضـع الأرقام السرية) ونام حراس الخزانة بينما بدأ الأول والثاني يضعون الأموال الطائلة في الحقائب . وجر الأربعة حقائبهم وقد قفلوا الخزانة كما كانت .

قال توفيق لابنـه وليـد : إن الحـراس متـآمرون مـع اللصوص .
قال وليد : هذا يبدو واضحا يا أبي .. والغريب أن لا يشذ واحد منهم ويدافع عن المصرف .
لما انتهى توفيق من تسجيل كـل شـيء . بـدأ يغـادر المصرف . ووجد في استقباله وزير الداخلية يمد لـه يـده ليصافحه وهو يقول : هل تعرفت على كل شيء ؟ ..
شعر العالم توفيق وابنه أن الخطر محدق بهما . لم يقبض أحد عليهما . إنما أمرهما وزير الداخلية بالركوب معه فـي سيارته إلى مقر الوزارة .
سأل العالم توفيق : هل أنا مقبوض علي ؟ ..
قال وزير الداخلية مبتهجاً : وهل هناك من يسـتطيع أن يقبض على العلم . ولكننا نريد منك أن تعلمنا العلم .
سأل : ألا تخشى على الناس من تعلمه ؟ ..
قال الوزير : سوف نحكم قبضتنا ؟
سأل : كيف ؟ .
احتار وزير الداخلية في الإجابة . كيف فعلاً يحكم قبضته ؟ .. وكيف يتصرف ؟ .. وماذا لو رفض العالم توفيـق أن يبوح بسر جهازه وطريقة اختراعه بل وطريقة عملـه فهـل يجوز له أن يعتقله ؟ .. في هذه الحالة قد يصر الرجل على عدم البوح بسره وسوف يذبل في الاعتقال ولن يفكـر وسوف تفقد الإنسانية علمه وإبداعه واختراعه ؟ .. أم يطلق سراحه ويستعين به وقت الشدة . ويكفي المجرمون أن يعلموا

أن تحت يدي الشرطة جهاز يكشف الجرائم ولـذلك سـوف يمتنعون عن ارتكابها . إن الاختراع الجديد سوف يفيد البلاد في الكشف عن الجرائم الغامضة وعلم المجرمين به سـوف يجعلهم يمتنعون عن ارتكاب الجرائم لأن أمرهم مفضوح .. مفضوح .

(٤)

تسليم الاكتشاف

أمر وزير الداخلية بالقبض على مجموعة الحراس الـذين كانوا يحرسون المصرف ليلاً وقت إجراء السـرقة . وتـم عرض شريط التسجيل عليهم وهم يشربون الشاي الممـزوج بالمخدر . وهم يغيبون عن الوعي . والأربعـة الآخـرون اتضح أنهم من العاملين بالمصرف اتفقوا مع الحراس علـى ذلك الفعل الجنائي . واتضح أن واحداً منهم له دراية بفـتح الخزينة المركزية للمصرف ويعـرف أرقامهـا السـرية . والآخرون الثلاثة من العاملين معـه . وضـبطت الأمـوال المسروقة في قرية واضع الأرقام السرية في بيـت قـديم لا

يخطر على بال أحد أن يكون مخزناً لأمـوال تزيـد علـى المليار .

استقبل وزير الداخلية العالم توفيق وابنه وليد فـي مقـره الوظيفي . وسأل : كيف تدير جهاز كشف الماضي ؟

قال مبتهجاً : إنه ليس جهازاً واحداً . إنه عدد من الأجهزة . الجهاز الأول يلتقط الموجـات الكهربائيـة أو الحراريـة الحيوية التي تتسرب من جسم الإنسان في زمن معـين فـي مكان معين . وتخفت درجة هذه الموجات بتقادم الزمن عليها لكنها لا تتلاشى . فإذا كانت درجة حرارة الجسـم المنبثقـة اليوم مائة مثلاً فإنها منذ مليون سنة تساوي مائة على مليون مضروباً في ٣٦٥ يوماً في ٢٤ ساعة في ٦٠ دقيقة في ٦٠ ثانية . هناك إذن كاميرا تلتقط هذه الموجـات المتحركـة . وجهاز آخر يحول هذه الموجات إلى صـور كـان عليهـا الشخص وقت تسرب الأشعة الحرارية الحيوية منـه . ولما كانت الكاميرا كالكاميرا السينمائية فإن الجهـاز يحـول الصور المختلفة إلى شريط متحرك مثل شريط الفيديو مـع الصوت الصادر منها . وهناك جهاز ثالث يقوم بتصوير هذه

الحركات الموجية . ثم جهاز رابع يعرض هذه التسـجيلات للعيان .

سأل الوزير : ولكن كيف تعمل كل هذه الأجهزة ؟ ..

تدخل وليد بالسؤال : هل تريد الحكومة استخدامها ؟ ..

قال الوزير بحنو : نعم يا ولدي . إنها بمثابـة درع لنـا ورادع لمرتكبي الجرائم .

قال توفيق متدخلاً : وإذا أسيء استخدامها يا سيدي ؟ ..

سأل : كيف ؟ ..

قال توفيق : قد يحاول أحد الضباط مـن ذوي النفـوس المريضة أن يصور فتيات وهن عاريات . ويحاول أن يلطخ سمعتهن إن لم يرضخن لمطالبه . يهددهن بنشر صورهن في أوضاع مخجلة يلفقها وينشرها في الصحافة الصفراء ويشهر بهن .

قال الوزير وهو يفكر : هذا وارد فعلاً ، لذلك يجـب أن نضع حدوداً لاستعمال هذه الأجهزة . وحتى الآن لا يعـرف أحد كيف تعمل ؟ ..

ابتسم العالم توفيق جعفر وقال : ولن يعـرف أحـد لأن الأجهزة تعمل بالبصمة .. بصمتي أو بصمة ابني . ثم بعـد

ذلك يحتاج من يستعملها أن يعرف الأزرار المختلفـة التـي تقوم بإصدار أوامر التشغيل سواء لكاميرا التصوير أو الفيديو أو العرض على شاشة التلفاز .

قال الوزير : لقد تركت لنا الآلات كما طلبنا منك ولكـن لن نجد من يقوم بتشغيلها .

قال : هذا لأن بصمتي هي التي تحرك الأزرار من البداية فحينما أضع إصبعي على زرار التشغيل تعمل الأجهزة .

قال : ألن تقول لنا كيف يمكن لأي إنسان آخر أن يقـوم بالتشغيل .

قال : قلت لك يا سيادة الوزير إنني أخشى مـن إسـاءة استخدام الأجهزة .

قال مطمئناً : لا تخف . إنها ستكون في أيد أمينة .

سأل العالم توفيق : كم شخصـاً سـوف يقـوم بتشـغيل الأجهزة ؟ ..

قال : هذا يتوقف على الجرائم الغامضة التي ستصـادف جهاز الشرطة والأماكن المختلفة التي سـتكون فيهـا هـذه الجرائم .

قال : إذن فأنت تريد أكثر من جهـاز . وتريـد تشـغيل الجهاز دون بصمة . بأزرار مثل أزرار التلفاز العـادي أو الفيديو العادي .

قال الوزير : نعم .. هو كذلك .

قال العالم بخضوع : أنا رهن الإشارة .

تأمل الوزير ملياً ثم سأل : هل يمكن تصوير الأحـداث التاريخية بهذه الأجهزة ؟ ..

- هذا أمر لا شك فيه . ولكن ماذا يعطيك ذلك الجهاز أو هذه الأجهزة . إنها تعطي فقط مترين في العرض ومتـرين في الطول ومترين في الارتفاع . وإذا أراد المصور للأشعة الحرارية الحيوية كما اسميها أن يصور شخصاً ويتتبعه فلـن يتمكن أن يصور في نفس الوقت شخصاً آخـر يقـف معـه بالقرب من المكان . أي خارج هذا المكعـب إلا إذا كانـت هناك كاميرا أخرى ثابتة تصور نفس المكان السـابق . ولا يمكن أن نتتبع كل الأماكن وكل الأزمنة فالأمر مقصور على النطاق المكعب المغلق أما الأماكن المفتوحـة فلـم أجـرب التصوير فيها فيمكن أن تكون الأشـعة الحراريـة الحيويـة تتحرك في تلك الأماكن . أنظر كم يحتـاج التصـوير إلـى

ملايين من الأشرطة لتصوير كل الأماكن فمن أيـن يمكـن الحصول عليها . وأين هي المادة الخام التي تصنع هذا كله . فهمتني .

قال : نعم فهمت . تريد أن تقول إن التاريخ عـدد مـن الحوادث لا ينتهي . ولا يمكن تصوير كل الحوادث لاستحالة ذلك . إذن نكتفي فقط برصد الجرائم الغامضة . ولا نلجأ إلى هذه الأجهزة إلا بأمر القضاء .

ثم سأل الوزير : إذا كان نطاق التصوير ضيق لهذا الحد فكيف صورت الحراس يتناولون الشاي في أماكن مختلفـة ؟ ..

قال : تتبعت موزع الشاي من مكان إلى آخر .

(٥)

الفص الكهرماني

قال العالم توفيق لولده وليد : نحن الآن يا ولدي في خطر . فلسوف تترصدنا العيون وقد يقومون بخطفـك أو خطفـي للمطالبة بتصنيع أجهزة كشف الماضي ، ولذلك فقد اخترعت اختراعاً جديداً ليقيك من الخطر .

سأل وليد : وما هو هذا الاختراع ؟ ..

قال توفيق : ذلك الخاتم ضعه في يدك . وحينما تتعرض لخطر الاختطاف ، فتضغط على ذلـك الفـص الكهرمـاني الظاهر من الخاتم وذلك بأحد أصابع نفس اليد لو كنت مقيداً

، أو إصبع اليد الأخرى لو لم تكن مقيداً ، فتنفتح لك الأبواب التي أغلقت عليك وتسقط القيود حول يـديك . وفـي نفـس الوقت يتحول مختطفوك إلى تماثيل . سوف يصيبهم الخـدر فيقفون في أماكنهم جامدين ثم يسقطون . وتنفذ من المكـان الذي اعتقلت فيه وتعود إلى البيت لنضع خطة في الهرب من البلد بأسره .

قال : وألن يؤثر ذلك الفص الكهربائي في جسدي فيحوله إلى تمثال ؟ ..

قال : فكرت في ذلك . ولذلك صنعت خاتماً آخر يوضـع في الإصبع المجاور فيوقف عمل الفـص الكهرمـاني الأول ضد الشخص صاحبه .

قال وليد متسائلاً : كيف يعمل ذلك الفص الكهرماني ؟ ..

قال العالم توفيق : إن الفكرة معقدة . ولكن ما أستطيع أن أقول لك هو أن هناك إشعاعاً يصدر من الفص عند الضـغط عليه ، وينتشر حتى يصيب الإنسان أو الحيـوان بالغيبوبـة نتيجة تجريده من الحرارة التي تسري في الجسد فكأنه يجمده . ذلك لأن الإشعاع الصادر من الضغط يوجه إلى وظـائف المخ لدى الأشخاص المعرضين للإشعاع فيوقـف وظـائف

المخ لديهم ويتوقف الجسد مؤقتاً عـن العمـل حتـى تمـر العاصفة . عاصفة الإشعاع الحراري . وهي تدوم لمدة ربع يوم على الأقل تكون وقتها فلت من الأبواب .

سأل وليد بسذاجة : وماذا يا أبي لو كنا فـي الشـتاء ولا حرارة هناك .

قال : الحرارة لا توجد في الجو فحسب . إنما توجد فـي كل الجمادات المحيطة بك . أليسـت هـي مجموعـة مـن البروتونات وكهارب تحيط بها .

(٦)

وزير الصناعة

طلب وزير الصناعة المكلـف بتصـنيع جهـاز كشـف الماضي لحساب الحكومة مقابلة العالم توفيق جعفـر . لمـا ذهب إليه . صافحه بحرارة كأنهما يعرفان بعضهما الـبعض منذ زمن بعيد . بادره قائلاً : أريد منك أن تكشف لي عـن ماضي الوزير السابق للصناعة .

سأل توفيق : كيف ؟ ..

قال : بجهاز كشف الماضي .

قال : إن الكشف عن الماضي لابد له من مكـان مغلـق ومحدود . ونتتبع زمان ذلك الوزير في كل الأماكن المغلقـة

التي كان يرتادها - ولا نعرف شيئاً عنها - يتطلب كثيراً من الشرائط . خاصة إذا عرفنا أن ذلك الوزير شـغل منصـبه زهاء خمس عشرة سنة .

قال الوزير : لا أريدك أن ترصد كل فترة توليه الوزارة . أريد فقط أن ترصد السنتين الأخيرتين مـن وجـوده فـي الوزارة في هذا المكان بالذات حيث عقد اجتماعـات كثيـرة سمح فيها بتسلل الأعداء إلى بلادنا فاصبحوا أصدقاء وغـزوا البلاد اقتصادياً . وسمح فيها لرأس المال الأجنبي بالسـيطرة على مقدرات الوطن . وأنـا الآن أحـاول أن أحجـم هـذه السيطرة ولكني لا أستطيع بسهولة .

قال توفيق جعفر : أنت إذن تريد التشهير به .

قال الوزير متضايقاً : لا .. أريد فقط أن يعرف الـرأي العام أن هذا الوزير سمح للأعداء والمستغلين بغزو الـبلاد اقتصادياً ، ومن ثم فإذا ما قمت بالإطاحة بهم خارج الـوطن أكون مرتكزاً على حقائق ووقائع دامغة . ولنفرض أنه كـان يستغرق في عمله ثماني ساعات في هـذا المكتـب وعقـد الصفقات خلال أربع ساعات . وكان يعمل خمسة أيـام فـي الأسبوع فذلك معناه ٢٠٨ ساعة في السنة أي فـي السـنتين

الأخيرتين ٤١٦ ساعة . هاتان السنتان تم فيهما تـدفق رأس المال الأجنبي على البلاد وسيطرته على مقدرات الاقتصـاد حتى أن رأس المال الوطني تراجع ، فإذا كان الشريط قدره أربع ساعات فإننا نحتاج إلى ما يزيد عن المائة شريط وربما أقل لأنه لم يكن يجتمع مع المستغلين الأجانـب إلا قلـيلاً . ويمكن أن نهمل الأيام التي لم تحدث فيهـا مقـابلات بـين الوزير وأصحاب رأس المال الأجنبي . مما يعني أن كشـف ماضي ذلك الوزير لن يتطلب إلا خمسين شريطاً على الأكثر .

قال توفيق جعفر : ألا يمكنك أن تذيع على الناس أن رأس المال الأجنبي تغلغل في البلاد وسيطر على الاقتصاد . وأنك سوف تتخذ من الإجراءات ما يطيح به .

قال الوزير متأملاً : لا .. لا يمكنني ذلك . لأن ذلك المال دخل البلاد بطريقة تبدو مشروعة في الظاهر ووفقاً لمواثيق دولية . فكيف اتهمه في هذه الحالة بالتغلغل والسيطرة ؟ ..

قال توفيق غير مقتنع بوجهة نظر الوزير : والله لو كـان نافعاً ، فلن يمكنك اتهامه . أما لو كان ضاراً فيمكن الكشـف عن ضرره وتوجيه الاتهام إليه . وجهاز كشـف الماضـي

وعدني رئيس الوزراء ووزير الداخلية بأن يستعمل فقط فـي كشف الجرائم الغامضة تحت إشرافي . واعتقد أنك سـوف تحتاج إلى موافقة رئيس الوزراء في شأن الكشف عن ماضي ذلك الوزير السابق للصناعة .

قال الوزير متودداً : أنا أطلب منك ذلك بصفة ودية .

قال : وأنا لا أوافق .

(٧)

خطف وليد

بينما وليد ابن العالم توفيق جعفر عائد مـن مدرسـته ، تعرض له في الطريق ثلاث رجال ، طلبوا منـه أن يـدخل معهم إلى السيارة الواقفة بجانب الرصيف ، وذلـك لمقابلـة والده لدى وزير الصناعة ، شعر وليد بالخطر ، لكنه تأرجح بين أن يلبي طلب أبيه ، وبين أن يكون الطلب مغشوشاً .

لما ركب معهم ، وجد واحداً منهم يضع عصـابة علـى عينيه حتى لا يعرف الطريق ، وهو يقول له بحنان :

- إجراءات أمن فقط .

انطلق السائق بالسيارة في سرعة غير عادية كأنما يريـد أن يصل إلى هدفه قبل الميعاد .

أدخل وليد في مصعد ، نزل به إلى أسفل ، ثم أدخل فـي زنزانة ، وتم قفلها بإحكام ، وقال يسأل : أين أبي ؟ .. قال أحد الرجال : سوف يأتي إليك هنا .

طلب وزير الصناعة العالم توفيق جعفر وقال له : ابنـك في الحفظ والصون . كل ما هو عليك هو أن تأتي إلى مكتبي لتصوير ماضي الوزير السابق بالصوت والصورة .

سأل : هل اختطفت الولد ؟ ..

قال الوزير ، وهو يبتسم : شيء من هذا القبيل . إذا كنت تحب ابنك فأفعل ما أريد تتسلمه . وإذا كنت لا تحب ابنـك فلن تراه حتى ترضخ .

سأل العالم : وكيف تتصرف هـذا التصـرف المخـالف للقانون ؟ .. ألا تعرف أنني لو أبلغت الشرطة سوف تتعرض للمسئولية .

سأل الوزير : وكيف تثبت أنني اختطفته ؟ ..

قال : سوف أسمعك ما دار معي من حوار الآن وتتأكد أن كل اتصال مسجل .

قال بقحة : لا يهمني .. سوف ادعي أن هـذا التسـجيل مزور . ما رأيك هل سترضخ أم ستركب رأسك ؟ ..

قال : لا .. سأركب رأسي .. اتركني أركبها ..

أغتاظ الوزير من كلمات العالم توفيق جعفـر . وابتسـم توفيق لأنه كاد له . فإن ولده معه الفـص الكهرمـاني فـي إصبعه . ويمكنه أن يفتح باب الزنزانة التي لا بد حبسه فيها . ويخرج منها ويمشي في مكان المعتقل دون أن يتعرض له أحد لأن الكل سيكونون في غيبوبة .

لكن وليد لم يعرف كيف يفتح باب الزنزانة . كان يكفيـه أن يضغط على الفص الكهرماني حتى ينفتح الباب ويخرج ، ولكنه كان يمسح عليه فقط فلا ينتج أي أثر .

انتظر وليد ، وهو يجلس على فراش قذر ، ملئ بالتراب ، حتى وصل حارس من الحراس يحمل طعاماً ، فابتدره وليد واقفاً وضغط على الفص الكهرماني كآخر محاولة لإخـراج الأشعة التي تغيب الآخرين ، ففوجئ بأن الفص يعمل ـ وأن الأكل يسقط من يد الحارس ، ويتجمد كتمثال ثم يقع مغشـياً

عليه ، والباب مفتوح ، والحـارس مجمـد علـى الأرض ، فخرج وليد ومشى في سرداب طويل ، وإذ به أمـام بـاب مفتوح ، فصعد عدداً من السلالم إلى أن وجد نفسه في حديقة غناء ، تغرد فيها العصافير والبلابل . قفز على السور إلـى الشارع ليجد سيارة أجرة تمرق بجانبه ، وتتوقف عندما يشير إليها ، فدخل فيها وطلب من السائق التوجه إلى عنوانه .

دخل على أبيه ، فأخذه في حضنه ، وقال له : لم تأخرت ؟ ..

قال : لم أعرف كيف استعمل الفص الكهرماني .

قال : كان يكفيك أن توجه الفص إلى أي جهة وتضـغط عليه فينفتح الباب وتخرج .

قال وليد : لم أعرف . كنت أظنه كمصباح علاء الدين إذا مسحته خرج منه مارد ليفتح لي الباب ويكون طوع أمري .

ثم سأل أباه : لم اعتقلوني ؟ ..

قال العالم : يريد وزير الصناعة أن اكشف له عن ماضي الوزير السابق للصناعة ، فاتخذك رهينة حتى أنفذ أغراضه . يدعي أنه سبب في إغراق البلاد برأس المال الأجنبي ويريد أن يكشف عن ماضي الوزير السابق ليتخذ الأمـر ذريعـة

ويثبت تآمر الوزير السابق ضد البلاد ، ويطـرد الشـركات الأجنبية على أساس أنها دخلت البلاد نتيجة الغش ومسـاعدة الوزير السابق .

قال وليد : أعتقد أن هذا هدف وطني مطلوب .

قال العالم : ولكن فيه تشهيراً بالوزير السابق .

قال وليد معاتباً : أيكون عندك التشهير في مرتبة أعلـى من صالح الوطن يا أبي ؟ ..

قال العالم : إذن تريد أن أساعد الوزير الحالي في كشف ماضي ذلك الوزير السابق .

قال وليد : أنا أري ذلك .

(٨)

زمن الوزير السابق

حمل العالم توفيق جعفر أجهزة كشف الماضي ، وانتقـل بها بسيارته إلى مقر وزارة الصناعة ، حيث طلـب مقابلـة الوزير . ولما دخل عليه الحجرة ظهر الوزير منبسطاً فرحاً لأن خطف ابن العالم أثمر نتائج لصالحه . قال الوزير بترفع : هل أنت مستعد ؟

قال العالم : أرجو أن تخلي الحجرة .. وأن تعطيني زمن الوزير السابق بدقة . وهل كان يجلس في هذه الحجرة . قال الوزير : نعم .. نفس الحجرة . قال العالم : إذن اتركهـا ولا تدع أحداً يدخلها .

خرج الوزير ، وأقفل العالم توفيق كل الشـبابيك ، حتـى صارت الدنيا ظلاماً ، وبدأ في تشغيل الجهاز وضبطه علـى الوقت المطلوب ، ووجهه نحو موقع جلوس الوزير السابق . وبدأت الكاميرا في التقاط صور الإشعاعات الحرارية الحيوية وتحويلها إلى صور حقيقية . وجهاز التسجيل يسجل .

وظهر الوزير السابق يستقبل وفد الدولة المعاديـة التـي أصبحت دولة صديقة بفضل معاهدة دولية . وصار ينـاقش معهم تفاصيل عملهم بدقة . ويرفض شروطاً تم وضـعها . ويعرض شروطاً أخرى . ولا توجد تلميحات لرشوة أو فساد أو محاولة إغراق السوق بمنتجات الدولة المعادية في السابق والصديقة في الوقت الراهن .

استمر العالم توفيق يسجل الأحداث يوماً بعد يوم . يحاول أن يكتشف منها ثغرة واحدة تدل على فساد الوزير السابق . غير أنه لم يجد . وظهر له ولاء الوزير السابق كاملاً لدولته . وعملاً مستمراً لدعم اقتصاد البلاد . واتضح له أن الوزير الجديد يكذب ويحاول أن يتهم الوزير السابق بنعوت ليسـت فيه .

لما انتهى العالم توفيق جعفر مـن تسـجيل الأحـداث ، عرضها على وزير الصناعة . وقال له : من هذا يتأكد لـك أن الوزير السابق كان مخلصاً أميناً صادقاً لم يخن بلاده . ولم يفعل ما يشينه .

قال الوزير مبتسماً : أعرف .

سأل باستغراب : إذن لم تنعته بصفات ليست فيه .

قال بخبث : أريد منك أن تصنع دبلجة لأحاديث الـوزير السابق . تحوله بها من أمين إلى خائن . ومن مخلص إلى شخص لا إخلاص له للوطن . ومن صادق إلى كاذب .

سأل : كيف ؟

قال : ألست عالماً ؟ ..

قال بوضوح : أنا لا أزور الحقائق يا معـالي الـوزير . أنت تذكرني بتحتمس الثالث حينما زور التاريخ ونسب أعمال زوجته حتشبسوت إليه .

ثم سأل توفيق الوزير :

- لماذا تريد أن تلطخ سمعة هذا الوزير ؟ ..

قال الوزير : إن ذلك من أجل صالح البلد . إذا كان هـذا الرجل قد أدخل رأس المال الأجنبي بحسن نية وجعله يتغلغل

في البلاد . فما الذي أمامنا حتى ننهي وجود هذا الاسـتعمار الاقتصادي إلا أن نلغي وجوده . ولن يتسنى ذلك إلا إذا قلنا إنه دخل البلاد بطريقة غير مشروعة عن طريـق الرشـوة والفساد . فلو قلنا إنه تسلل بحسن نية من الـوزير السـابق لضحكوا علينا .

قال العالم توفيق : أنا آسف لا أستطيع أن أشارك في هذه الجريمة .

سأل الوزير متعجباً : أي جريمة .. كل ما هو خير للبلـد مباح .

قال توفيق دون أن يجفل له طرف : لا .. كل ما هو خير للبلد مباح بشرط أن لا نتوسل إليه بوسائل قذرة مثل الدبلجة المسمومة .

(٩)

حديث مع رئيس مجلس الوزراء

أنهى الحديث مع وزير الصناعة ، ونهض العالم توفيـق جعفر ، وبدأ يجمع أجهزة الكشف عن الماضي ، ويضـعها في حقيبته ، ثم حملها ، وما كاد يمضي حتى أوقفه الـوزير بإشارة منه دون أن يتحرك من مقعده : إلى أين ؟ ..

قال العالم : سأعود إلى بيتي ؟ ..

قال الوزير مستغرباً : دون أن تجري عملية الدبلجة على الشرائط التي تمكنت من جمعها ؟ ..

قال العالم : لا أعرف كيف أجري عملية الدبلجة .

قال الوزير : أليست الشرائط بالصوت والصورة ؟

قال : نعم .

قال : إذاً استبدل الصوت بصوت نعطيه لك .

قال العالم : الشريط لا يقبل الدبلجة .. لا بد من نقله إلى شريط آخر .

قال الوزير مستاء : كيف ذلك ؟ .. أتظن أنني جاهل ؟ ..

قال العالم بخبث : العفو . لكن ذلك شـريط لـيس مثـل الشرائط العادية التي تستعمل في الفيديو أو السـينما حتـى يمكن أن توضع عليه الدبلجة .

قال الوزير مستنكراً : أنت تحاول أن تتملص من الأمـر بذلك الإدعاء .

قال العالم : ولم أدعي ؟ .. إنها الحقيقة .

قال الوزير : إذن سلمني الشرائط وسلمني الجهاز .

قال العالم بثقة : يمكنك أن تطلب مـن وزيـر الداخليـة الأجهزة التي عنده وسوف انسخ لك شرائط أخرى لأن ليس معي شرائط جديدة . أو انتظر حتى يتم تصـنيع الأجهـزة فتحصل على واحد منها خاص بك .

سأل الوزير : متى سوف تنسخها ؟ ..

قال : خلال يومين . قال : أنت تكذب ؟

قال : ولم أكذب ؟ ..

قال : إذن اعطني الشرائط التي ستدبلج وفي نفس الوقت الشرائط الأصلية .

قال : سوف أجهزها لك وآتيك بها بعد يومين .

قال الوزير ، وهو لا يزال يجلس فـي كبريـاء : علـى العموم أنا انتظرك بعد يومين ومعك الشرائط .. وسوف يبقى ابنك في استضافتي لحين عودتك .

ابتسم العالم توفيق جعفر وقال : وهو كذلك .

توجه العالم توفيق جعفر على الفور إلى مجلس الوزراء ، وطلب مقابلة رئيس مجلس الوزراء . وحينما اجتمـع بـه ، روى له ما حدث مع وزير الصـناعة . اسـتغرب رئـيس مجلس الوزراء .

وسأل : لم يفعل ذلك ؟ ..

قال : اتضح لي من التسجيلات أن ذلك الوزير كان يعمل وكيلاً للوزارة قبل أن يتولى الوزارة . وكان يعمل مـع الوزير السابق . ويبدو أنه كان يحقد عليه . وظل هذا الحقد

يلازمه حتى تولى الوزارة بل حتى الآن . وأراد أن يمسـخ عهده كلية . ويحوله من رجل أمين مخلص إلى رجل خـائن لا إخلاص لديه لبلاده .

وكأن رئيس الوزراء لا يستمع للعالم عن أخطاء الـوزير الحالي للصناعة ، فقد فاجأ العالم بسؤال في موضوع آخر : سمعت أن الإشعاعات الحرارية تنبعث من الأجسام فتبقى في مكانها لا تتحرك منه مع أن الإشعاع الحراري عموماً ينتقل من مكان إلى آخر .

استاء العالم توفيق من الانتقال من موضوع له أهمية إلى موضوع لا أهمية له في الوقت الحالي :

أجاب العالم : هذه إشعاعات حرارية ثابتة لذلك سـميتها إشعاعات حرارية حيوية . وسوف اكتشف السبب في أنها لا تتحرك في المكان المغلق . ولكن قد تتحـرك فـي المكـان المفتوح . الأمر يحتاج إلى تجارب . أما الإشعاع الحـراري العادي فهو إشعاع متحرك ينتقل مـن مكـان إلـى آخـر . الإشعاعات الحرارية الثابتة يمكن أن تتحول إلى صورة طبق الأصل على ما كانت عليه . أما الإشعاع الحراري المتحرك فليس فيه صورة .

سأل رئيس مجلس الوزراء : إذن فإن مـن الممكـن أن تسجل لنا بالصوت والصورة جلسات مجلس الوزراء السابق ؟ ..

قال العالم : يمكن .. لكن ذلك يحتاج إلى جهد خارق ليس في استطاعتي .

قال رئيس الوزراء : إن الأسرار كلها تكمن فـي هـذه الجلسات . ومنها نعرف أسباب كثيـرة لحـوادث غامضـة وقعت . وماذا كانت أهدافها .

قال العالم غاضباً : ولكن أنا ما جئت لهذا يا معالي رئيس الوزراء . جئت من أجل وضع حد لوزير الصناعة وإطلاق سراح ابني المعتقل .

قال : أكتب لي مذكرة بذلك وسوف اتخذ فيها الإجراء .

(١٠)

الدخول إلى وزارة الصناعة

عندما عاد العالم توفيق جعفر إلى داره . كان ينتظره ابنه وليد ، وقد جعله الفضول يشتاق إلى معرفة نتيجـة زيـارة العالم توفيق لوزير الصناعة . سأله : ماذا حدث ؟ ..

قال العالم توفيق : أشياء لم تكن على البال . لقد اتضـح لي من تسجيل أحداث الوزير السابق للصناعة أنه رجل جدير بالاحترام وأنه يخدم صالح الوطن بإصـرار . وأن الغـش أدخل عليه ولم يكن يعلم به . ولما واجهت الـوزير الحـالي بذلك . طلب مني أن أقلب الوضع وأجعل الـوزير السـابق خائناً عن طريق إدخال دبلجة للصوت يثبت بها أن الـوزير

كان عميلاً خائناً يبارك الاستعمار الاقتصادي للدول الأجنبية على البلاد . كما اتضح لي أن الوزير الحالي كان يعمل في نفس الوزارة وكيلا للوزارة أثناء تقلد الوزير السابق للوزارة . وكان يعمل وكيل وزارة لشئون المشروعات الصـناعية . وكان يحضر اجتماعاته مع أصحاب الأموال الأجنبية وهـو الذي كان يعرض عليه الاتفاقيات قبل توقيعها وهو الذي كان يمتدح تلك الاتفاقيات التي يحاول أن ينال منها الآن . أي أنه كان يعدها للوزير السابق . ويريد الوزير الحالي أن يجعـل الوزير السابق يتكلم كلاماً لم يتكلمه .

اندهش وليد وسأل : كيف ذلك ؟ ..

قال العالم توفيق : اجعله يتكلم بلغة لم يتكلمها . المشـاهد سيرى الشفاه تتحرك وتنطق بما أعطي لها من سموم لتنطقها . يقول عبارات تدل على المساومة بينـه وبـين أصـحاب رؤوس الأموال الأجنبية الذين كان يلتقي بهم . تدل على أنه يطلب رشوة أو طلب نفوذ للدولة المعادية التـي أصـبحت صديقة أو طلب مطالب معينة لصالحه وتضر بوطنه .

قال وليد منزعجاً : هذا افتراء .

ثم سأل : وماذا فعلت ؟ ..

قال العالم توفيق : رفضت بطبيعة الحال وطلبـت مهلـة يومين لإعداد الشريط . ونظراً لجهل الوزير السابق وافق . فالشريط معد عند لحظة تصويره وتسجيله .

استفسر وليد : لكن لم يريد الوزير الحـالي أن يغيـر أو يزور في الحوادث التاريخية ؟ ..

قال العالم توفيق : هذا ما لا أعرفه .

قال وليد : ولكن يجب أن تعرفه .

سأل توفيق : كيف ؟ ..

قال وليد : أنا أقول لك يا أبي . سوف نتسلل إلى الوزارة ونحاول أن نسجل الصور والأصوات في مكتـب الـوزير الحالي القديم أثناء ما كان وكيلاً للوزارة . فإن لم نجد شـيئاً يدل على تآمره ننتقل إلى بيته لإجراء ذلك التسجيل .. حتى نعرف الحقيقة .

قال العالم توفيق متسائلاً : وكيـف نـدخل إلـى وزارة الصناعة في وجود حراس كثيرين . أو حـراس فـي بيـت الوزير لو لم نجد شيئاً في مكتب الوزير الحالي .

وكأنما كان العالم توفيق يختبر ذكاء ابنه ، فقد افتر فمـه عن ابتسامة ، حينما قال وليد : الفص الكهرماني يا أبـي .

يشل الحراس وندخل إلى الحجرة السـابقة للـوزير الحـالي ونسجل . أليس من الممكن أن نسجل الأصـوات والصـور بسرعة بحيث لا يستغرق التصوير والتسـجيل إلا سـاعات قليلة .

قال الأب فرحا بابنه : نعم يا بني . لقد سـجلت خمـس سنوات في ظرف ساعتين في مكتب الوزير .

قال وليد : كان من الممكن أن تسجل ما بعدها من سنوات وتتفادى بذلك هذه المشقة .

قال العالم : هناك مفاجأة كبرى لم أعرضها على الوزير . أنني لم أسجل حوادث الوزير السابق . بل سـجلت أيضـاً حوادث الوزير الحالي . لكن عرضت عليه فقط ما يخـص الوزير السابق . كنت أظن أن براءة الوزير السابق كافية . ولم أكن أعرف أنه يريد أن يدنسه .

(١١)

دون ضجيج

حمل العالم توفيق جعفر الكاميرا التـي تكشـف أحـداث الماضي وتحول الأشعة الحرارية الحيوية إلى صور . وحمل ابنه وليد المسجل لهذه الأحداث صوتاً وصورة . وتربصـا بحرس وزارة الصناعة . كانا قد عرفا من مراجعة شـريط الوزير السابق للصناعة في حجرته عبد المعـين عبـاس أن الوزير الحالي - محسن صفط زاده - كان يعمل أثناء توليه الوزارة وكيلاً للوزارة لشئون المشروعات الصناعية . ولما كان الأب قد سجل كل الحوادث الخاصة بالوزير الحالي في

حجرته الحالية ، فوجد أن من الأنسب أن يسـجل الأحـداث التي حدثت في حجرته القديمة .

سلط الأب إشعاعات الفص الكهرماني علـى الحـراس ، فتجمدوا في أماكنهم ، ثم سقطوا على الأرض . ودخلا مـن باب الوزارة في سلام ودون ضجيج . وصعدا إلـى مكتـب وكيل الوزارة لشئون المشروعات الصناعية . سأل وليـد : ربما تكون الحجرة قد تغيرت ، وهذه الحجرة التي تخـص وكيل الوزارة لشئون المشروعات الصناعية ليست هي التي كانت لوكيل الوزارة الذي كان يشغل منصب وكيل الـوزارة لهذه الشئون .

قال الوالد : سوف نرى في أول التقاط للصور من سيكون بالحجرة فإذا كان شكل الوزير الذي رأيتـه فنسـتمر فـي التسجيل .

وعند حجرة كتـب عليهـا : وكيـل الـوزارة لشـئون المشروعات الصناعية . حاولا الدخول فوجدا الحجرة مقفلـة بإحكام ، فسلط العالم توفيق الفص الكهرماني على قفل الباب فضغط عليه فانفتح تلقائياً . وأدار أكرة الباب ودخـلا مـن حجرة السكرتير إلى حجرة الوكيل .

وضبط العالم توفيق الكاميرا على التقاط الأشعة الحرارية من الأجسام في وقت تولي الوزير محسن صفط زاده وكالـة الوزارة . وهي فترة سابقة على توليه الوزارة بخمس سنوات . وبدأ المسجل يسجل الصور . وشاشة الكـاميرا تعـرض الأشعة الحرارية الحيوية وتحولها إلى صور . وظهر الوزير محسن صفط زاده والموظفون يهنئونه على اسـتلام وكالـة الوزارة . وقال العالم توفيق لابنه : وضع المكتب لم يتغير يا وليد . إنه نفس الوضع . وهي نفس الحجرة التي كان فيهـا الوزير الحالي وكيلاً للوزارة .

سأل وليد : هل هي نفس ملامحه ؟ ..

قال توفيق : نفس الملامح . كل ما تغير فيه أنه كـان لا يصبغ شعره ، أما الآن لو رأيته فسوف ترى شعره مصبوغاً بلون أسود داكن .

قال وليد :

- إذن هيا بنا نسرع في التقاط الصور والأصوات .

وكانت الكاميرا تلتقط الصورة والصوت بعـد الصـورة والصوت . وقد برمجت على أساس ألا تلـتقط صـورة خلال انصراف الوزير خارج الحجرة وتبدأ في الالتقـاط

حينما يعود ويكون معه آخرين . لذلك كانت الكـاميرا لا تلتقط صورا في يومي الخميس والجمعة أو بعد سـاعات العمل . وتبدأ في التسجيل حينما ينهمك محسن صفط زاده في عمل إضافي . ويتجمـع وهـو وبعـض المـوظفين المسئولين لمراجعة العمل أو حينما يجتمع مـع العمـلاء الأجانب ويناقش معهم العقود والاتفاقيات .

قال وليد : أتنوي أن تسجل كل الفتـرات التـي عاشـها الوزير محسن في هذه الحجرة .

قال العالم توفيق : نعم .. حتى أتأكد وأعرف كيف أدخل الغش على الوزير السابق عبد المعين عباس . ورأي صـفط زاده فيه .

قال وليد : سوف تكون هذه الفترة مكملـة لفتـرة عملـه كوزير تلك التي سجلتها دون أن يدري . وسوف تدلك علـى مدى حقده على عبد المعين عباس .

قال العالم توفيق : أصبت ..

سأل وليد : ألن ينتبه الحراس خلال فترة عملنا .

قال العالم توفيق : إن الإشعاع الحراري الصـادر مـن الفص الكهرماني يشل الحارس لمدة ربع يوم كامل . لـذلك

سوف نعمل وننتهي ونمضي . والحراس لا يزالون مغشـى عليهم . بلا حراك . وسوف يتحركون ويتنبهون حينما يبـدأ النشاط اليومي للعمل .

قال وليد : على العموم غداً الخميس وليس هناك موظفون سوف يأتون .

قال توفيق : لقد تعمدت ذلك حتى إذا استفاقوا يسـتفيقون دون ضجيج . ناس تدخل وناس تخرج .

(١٢)

الحقد القديم

في دار العالم توفيق بدأ يتطلع إلى الشرائط الكثيرة التـي تراكمت لديه بخصوص الوزير الحالي للصناعة عندما كـان وكيلاً لوزارة الصناعة .

قال وليد يسأل : كنت أعتقد أن الشرائط سوف تربو على الألف شريط أو أكثر لكنك قمت بالتسجيل فيما يقـرب مـن خمسة شرائط فقط .

قال العالم توفيق : هذه الشرائط مكثفة بمعنى أن الشـريط العادي يسجل الساعة الزمنية في ساعة كاملة ، أما الشـريط المكثف فهو يسجل الساعات العشر في ساعة واحدة ، لكـن

عند عرض الساعات العشر يستغرق عرضها عشر ساعات أيضاً .

سأل وليد : معنى ذلك أن هذا الشريط سيستمر عرضه ما يقرب من عشر ساعات .

قال توفيق : نعم .. هو كذلك .

وبدأ العالم توفيق يبطئ من بعض الأحداث ، ويسرع في البعض الآخر . ويركز فقط على المواقف التي يتكلم أو يقابل أو يتحدث فيها محسن صفط زاده مع العملاء الأجانب . وبدأ ت الأمور تتكشف له . حينما جاء لزيارته في مكتبه رئـيس الوزراء الحالي دكتور منير كريم . وكان لا يـزال يعمـل أستاذاً في الجامعة .

سأل منير كريم : كيف تطيق أن يرأسـك عبـد المعـين عباس يا هذا ؟ ..

قال محسن باستهانة : فليرأس . سوف أعمل علـى زوال عهده بأسرع مما تتصور .

قال الدكتور منير : غريبة يا أخي .. منذ كنا أبناء حـي واحد وأنا لا أطيقه ولا أقبله . وأنت أيضاً كنت لا تطيقه ولا تقبله .. هل تعرف السبب ؟ ..

قال : السبب معروف يا منير . لقد كنا نكرهه لأنه متفوق علينا . كان عبد المعين الأول في المدرسة ، رغم أننا دخلنا السنة الثانية عشرة معاً . وتخصصنا في القسم العلمي . غير أنه برز علينا أيضاً ودخلنا الجامعة . دخلنا معاً كلية الهندسة . ودخلت أنت كلية التجارة . ولما انتهينا من الدراسة عرفت أن عبد المعين يدرس الدكتوراه ، فقررت أنا الآخر أن ادرس الدكتوراه وأنت بقيت على حالك .

قاطعه قائلاً : لقد عدت أدرسها بعد أن كونت ثروة . بينما كنتما في صومعة العلم . كنت أعمل في مكتبي بجد ونشاط . والآن زوجتي تدير المكتب وأنا أساعدها وأقسامها الأربـاح وفي نفس الوقت أدرس في الكلية .

منير رمقه بإمعان ثم قال : وأنت ألا تدير زوجتـك لـك مكتبك يا صفط زاده . إنك تعلمها أولاً بأول بالمشـروعات الصناعية . تلك التي تنفذها الـوزارة مـن خـلال القطـاع الخاص .

قال محسن مغتاظاً : ألست تستفيد من ذلك يا منير ؟ . . أليس بيت الخبرة الذي تديره هو الذي يضع دراسات الجدوى لهذه المشروعات .

قال منير : نعم .. لك حق .. ولكن يجب أن تتفوق علـى عبد المعين عباس ، ذلك الذي برز علينا وأصبح وزيـراً . وجعلك مرؤوساً له . ولعلك لا تعرف أنه يعارض أن تمسك زوجتي دراسة مشروعات الجدوى . أتعرف لقـد وضـعت خطة لمحوه . سوف أدخل المجال الحزبي . وسوف أعمـل مع رئيس الوزراء الحالي حتى يختارني وزيراً .. وسـوف أكون زميله في الوزارة . ثم أقلع رئيس الوزراء من منصبه وأتولى أنا الوزارة . وحينما يسمح الرئيس بأن أشكل الوزارة فسوف استبعد ذلك العبد المعين منها .

قال محسن ضاحكاً : لا تـنس إذن أن تكلفنـي بـوزارة الصناعة .

وتأمل العالم توفيق مجرى الأمور . واستغرب أن يكـون قد لجأ لصديق الوزير الحالي للصناعة الصدوق يشكو لـه . كأنه دخل عرين الأسد بقدميه . وبينهما وبين الوزير السابق حقد قديم لا يموت .

(١٣)

نقط الضعف

طلب رئيس مجلس الوزراء الدكتور منير كـريم وزيـر الصناعة محسن صفط زاده وسأله : ما هذا الذي فعلـت يـا محسن ؟ ..

سأل : ماذا فعلت ؟ ..

قال : حاولت أن تستعمل جهاز كشـف الماضـي الـذي اخترعه العالم توفيق جعفر . وتأمره بأن يدبلج الصور بمـا يلوث سيرة عبد المعين عباس الوزير السابق للصناعة .

قال : نعم . هذا ما حدث .. أليس هـدفك هـو اسـتبعاد الشركات الأجنبية القائمة في البلد على أساس أنهـا دخلـت البلاد بالغش والفساد وهي تستغل البلاد أسوأ استغلال .

قال رئيس الوزراء : نعم ذلك هو الظاهر .. لكـن عبـد المعين عباس لم يكن ذلك الرجل الذي سهل لها الدخول .

قال : نعم ذلك ثابت من الشرائط التي جمعها توفيق جعفر . لكن الفساد عادة ما يحدث سراً وبطرق خفية . فكيـف إذن دخلت هذه الشركات البلاد ؟ .. ألم يحدث ذلك في عهده ؟ ..

قال رئيس الوزراء : لا أعرف .. ولكن من الممكـن أن يكون عبد المعين قد حدث تحايل عليه ، فأنا أعـرف عبـد المعين - كما تعرفه - منذ الصغر ، فهو رجل شريف .

قال محسن : لا يغرنك ما كان فيه من ورع وتقوى .

قال : لكن لا أقبل أن تلوث سيرته .

سأل بوضوح : إذن كيف ستنهي وجود هذه الشركات في البلاد دون أن تتعرض لمسئولية دولية ؟ .. وكيف سـتثبت أنها دخلت بطريق الغش وأنها تستغل البلاد ؟ ..

قال : هناك طرق أخرى يا محسن غير تلويـث سـمعة الوزراء السابقين .

قال : وماذا ستفعل مع ذلك العالم الذي بيده شرائط تـدل على أن سيرة عبد المعين كالمسك .

قال : وماذا سأفعل له ؟ ..

قال : قدمه للمحاكمة لأنه خالف القـانون الجديـد الـذي أصدرته بأن استخدام أجهزة كشف الماضي لا تكون إلا من خلال الحكومة وبقرار من النيابة المختصـة فـي الجـرائم الغامضة فقط .

- سيقول حينه أنه رضخ لأوامرك يا محسن .
- سأنكر في ذلك الوقت . وسأدعي أنني لم أره ولـم آمره بشيء . وأنه استخدم جهـاز كشـف الماضـي لأغراض في نفسه لا أعرفها .
- يالك من داهية يا محسن .. وماذا سيفيدك لـو تمـت معاقبته ؟ ..
- إن جعله طليقاً يا معالي رئيس مجلس الـوزراء قـد يضر بالوزارة بأكملها .

خاطب محسن نفسه قائلاً : على الأقل لا يكشف أسراري . ثم قال : كل إنسان لديه نقط ضـعف . وقـد يسـاعد استخدام هذه الأجهزة في كشف نقط ضعفنا .

ارتبك رئيس مجلس الوزراء . ووضع السـماعة علـى الفور ، فارتج محسن . ثم عاد إلى هدوئه وهو يفكـر : الآن وقد هرب ابن العالم - كما خبرني الحراس - فلـن يتسنى لهم كشف ما أنا فيه من ضعف ولـن يـتمكن أن يثبت أنني ضغط عليه ليصور ماضي الوزير السـابق . لكن كيف هرب ذاك الفتى ؟ ..

(١٤)

الاحتجاز

قال العالم توفيق : إن جرس باب الدار يرن . أبق أنـت مكانك . فوجئ برجال الشرطة ، يتقدمهم رائد شـرطة ، وهو يسأل : هل الدكتور توفيق جعفر موجود ؟ ..

- نعم .. هو أنا .. ما هناك ؟ ..

- إن رئيس النيابة العامة يريدك للتحقيق معك في أمـر هام .

- في أي شأن .

- ذلك أمر سوف تعرفه حينما تلتقي به .

- إذن .. اسمح لي أن أرتدي ثيابي ثم آتي لارافقكم .

- لا مانع .

همس العالم توفيق لابنه وليد بضع همسـات ثـم دخـل لارتداء ثيابه . فكر فيما يكون الأمر فـأدرك أن رئـيس مجلس الوزراء حوله إلى التحقيق معه ، بسبب ما قدمـه من شكوى .

انصرف العالم توفيق جعفر مع رجال الشرطة . وفي مكتب رئيس النيابة العامة ، بدأ التحقيق : سـأل رئـيس النيابة العامة : - أنت تعرف أن هناك قانوناً صدر يحرم على المواطنين استخدام أجهزة كشـف الماضـي الـذي اخترعته لأن الدولة احتكرته . وأن الوحيد الذي يسـتخدم تلك الأجهزة هم رجال النيابة العامة بناء علـى إذن مـن القضاء في الجرائم الغامضة .

قال : أعلم .

سأل : ولماذا استعملت هذه الأجهزة في مقـر وزارة الصناعة ؟ ..

قال : بناء على طلب من وزير الصناعة نفسه السـيد محسن صفط زاده .

سأل : وهل إذا طلب منك وزير ذلك تمتثل لأوامره ؟ ...

قال : وماذا أفعل وقد اختطف ابني وليد وحجزه لديه . وطلب مني أيضاً بعد استخدام الأجهزة أن ألوث الشرائط بكلمات تدل على أن الوزير السابق مرتش وفاسد ، وهو الذي سمح بدخول الشركات الأجنبية إلى البلاد لتعيث فيها فساداً .

سأل : وكيف نتأكد أن ابنك اختطفه ذلك الوزير ؟ ..

قال : اعتقد أنه لم يودعه سجناً عاماً إنما اعتقـد أنـه احتجزه في سجن خاص .. ربما يكون داره .

سأل : وهل يحتجزه حتى ذلك الوقت ؟ ..

قال : لقد أعطاني مهلة يومين حتـى أقـوم بعمليـات الدبلجة للشرائط التي التقطتها في مكتبه . وتثبـت هـذه الدبلجة أن الوزير السابق مرتش وفاسد .

سأل : كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ ..

قال : إن الشرائط تشير إلى مقابلات للوزير السابق مع رجال الأعمال الأجانب .. وهو يريد مني أن أخلق حواراً بينهما يفهم منه أن الوزير السابق كان يتفاوض مع رجال الأعمال حول رشوة أو أرباح معينة يجنيهـا مـن وراء دخول هذه المشروعات البلاد .

- وما هدفه من ذلك ؟ ..

- يقول إن هذه الطريقة التي يمكن بها إثبات دخـول هذه الشركات البلاد بطريقة غير شرعية وبذلك يمكن أن ينهي عقودها دون إشكالات قانونية .

- إذن هيا بنا إلى دار الوزير لنرى ما إذا كان ابنـك لا يزال محتجزا هناك . أم أطلق سراحه .

قال : لا ادري فقد يكون قد احتجزه في مكان آخر . قال : ذلك سوف يثبته التحقيق .

(١٥)

الفتى المخطوف

اخترقت الهمسة أذن وليد .: عد إلى زنزانـة وزيـر الصناعة التي كنت فيها . ولا تتركها . ثم همس له فـي أذنه بكلمات لا تُسمع بعد أن سأله سؤالاً خطر بذهنه .

كان النهار وضاحاً والشمس ساطعة تصب الدفء على الكون . ووجد وليد الحراس واقفين انتباه عند بـاب دار الوزير . وفي الحديقة هنـاك بنـت الـوزير تتـأرجح بأرجوحتها من أعلا إلى أسفل ثم إلى أعلا . فرحة . تبدو أنها قريبة من عمره . وبالقرب منها أخوها يعبـث فـي

الحشائش يبحث عن كرة صغيرة . كيف يدخل ؟ .. أعليه أن يجمد كل هؤلاء بالفص الكهربائي .

دار حول الدار فوجد أن الحراسة حول السور الخلفي غير موجودة . إذن فليقفز وليدخل الزنزانة بالدور تحـت الأرضي . وتسلق السور بخفة ، ووجد باباً يفضي إلـى الدور تحت الأرضي ، تذكر أنه ذلك البـاب هـو الـذي هرب منه من قبل . وكان مفتوحاً بإهمال . وأغلق بـاب الزنزانة خلفه . وجلس ينتظر .

بعد ساعة لم يأت أحد . وبعد ساعتين سمع ضجة آتية وناس يتكلمون . جاء وكيل النائب العام يصـحبه العـالم توفيق جعفر ، وجمهرة من رجال الأمن . ودخلوا الـدار دون اعتراض يذكر من الحراسة ، إذ لما عرفوا مقصدهم أفسحوا لهم الطريق . وتعمقوا في الحديقة حتى وصـلوا إلى باب الدار ، رن وكيل النائب العام الجرس ، ففتحـت خادم ، وسألت :

- ماذا تريدون ؟ ..

قال وكيل النائب العام : نريد معالي الوزير .

قالت : انتظروا .

جاء الوزير يتهادى وسأل وهو يلاحظ وجـود العـالم توفيق جعفر مع الجمهرة : ما هناك ؟ ..

قال وكيل النائب العام بأدب : ذلك الرجـل اسـتخدم جهاز كشف الماضي بما يخالف القـانون . وقـرر أنـه استخدمه تحت ضغط منك . يتمثل ذلك الضغط باختطافك ابنه وأخذه كرهينة حتى يتم مهمته التي طلبتها منه .

ضحك الوزير وقال : وهل تصدقه ؟ ..

قال وكيل النائب العام ، وتوفيق جعفر يبتسم في إشفاق ، ويبدو هادئاً غير مبال : إن تفتيش البيت أمر واجـب . في هذه الحالة . إما أن نجده فيكون صادقاً . وإمـا أن لا نجده فيكون كاذباً .

قال الوزير ، وهو يفسح الطريق : تفضل .. فتش كما تشاء . ولن أسألك عن إذن التفتيش لأني أعرف أنه معك .

قال وكيل النائب العام : نحن نعمل طبقـاً للقـانون . وأبرز أذن التفتيش وسلمه للوزير . نظر إليه في لا مبالاة . وقال : تفضل .. فتش . وكان إذن التفتيش موقعاً مـن قبل رئيس مجلس القضاء مختوماً بخاتم الدولة .

تدخل العالم توفيق وسأل وكيل النائـب العـام : أيـن ستفتش يا سيادة الوكيل . قال : في كل أنحاء الدار ؟ ..

قال : وهل يعقل أن يكون المختطف في عقر الـدار . قد يكون رهينة في سجن تحت الأرض .

قال الوزير غير مبال : هناك حجرات فعلاً في الدور تحت الأرضي يمكن التفتيش فيها .

كان الوزير مطمئن أنهم لن يجدوا أحداً ، فقد هـرب الولد المختطف ولا يعرف كيف هرب ، وقد لا يكون قـد التقى بأبيه بعد ، لذلك فالأب لا يعرف أنه فر .

نزل الجنود إلى الدور تحت الأرضي . من باب خلف الدار ولم يعرض عليهم الوزير أن ينزلوا بالمصعد . ولما دخلوا الحجرات وجدوا حجرة مقفلة ووليد فيهـا يضـع رأسه بين كفيه تبرماً والزنزانة مقفلة عليه . وكان يتبعهم وكيل النائب العام والوزير مطمئن والعالم توفيق سعيد .

صاح الوزير حينما رأي وليد وهتف قائلاً : من الذي أدخل هذا الفتى هنا ؟ ..

قال وكيل النائب العام : أتظن أنه حضر بنفسه . ثـم استطاع أن يخترق الحراسة ويقفل عليه بـاب الزنزانـة بإحكام .. يا معالي الوزير .

ثم سأل الوزير ، وهو مرتبك : أليس لهـذه الحجـرة مفتاح يا معالي الوزير ؟ ..

ارتبك الوزير كثيراً وتلجلج وهو يقول : نعم .. نعم .. لها .. مفتاح .

وطلب من أحد الخدم المرافقين للوفد الذي يرافق وكيل النائب العام أن يصعد لإحضار المفتاح .

نظر وكيل النائب العام إلى الوزير وقال : ليس مـن سلطتي أن أقبض عليك إلا إذا كنت متلبساً . واعتقـد أن هذه حالة تلبس مؤكدة . فأرجو أن تأتي معي طائعاً .

(١٦)

أمام القضاء

أمام القضاء امتثل العالم توفيق ، وقدم أشرطة التسجيل التي تثبت وقائع ضد وزير الصناعة الحالي حينما كـان وكيلاً لوزارة الصناعة . وأثبت منها أن الوزير الحـالي كان يتفق مع العملاء الأجانب على إقامـة المشـروعات الصناعية الاحتكارية لضرب اقتصاد البلاد مقابل رشـوة كبيرة . وأن الوزير السابق كـان يوقـع علـى عقـود المشروعات الصناعية بحسن نية دون أن يعرف الغرض الخفي منها . وأثبتت الشرائط واقعة تقاضيه رشـوة فـي مكتبه وتحايله على القوانين وحسن نية الوزير السابق في قبول المشروعات .

كما قدم العالم توفيق جعفر شريطاً آخر مبين فيه واقعة إجبار الوزير الحالي للصناعة العالم توفيق على تسـجيل ماضي الوزير السابق في مكتبه . وواقعـة أن الـوزير الحالي طلب منه عمل دبلجة للأشرطة تثبت أن الـوزير السابق هو الذي أمر بدخول الأعـداء الـذين أصـبحوا أصدقاء إلى البلاد . وكانوا لم يبرؤوا من حقدهم القـديم مثلما لم يكن الوزير الحالي قد برأ من حقده على الوزير السابق . وأقام الأعداء الأصدقاء المشروعات الاحتكارية التي تفسد اقتصاد البلاد وتمتص دم الشعب . ولا تسـاعد على نهضة البلاد لأن أغلبها مشروعات غير إنتاجية .

أنكر وزير الصناعة الحالي كل ما جاء في الأشـرطة وأدعى أن العالم توفيق بما له من خبرة في ذلك المجـال الجديد لفق الشرائط واصطنعها حتى يثبت أنه مـدان وأن الوزير السابق للصناعة ليس بريئاً إنما هو مـذنب حتـى أذنيه . وأنه من الممكن إذا أعيـد التصـوير أن يـأمر أجهزته بتلفيق الصور .

وعرض العالم توفيق شرائط جديـدة اثبـت فيهـا أن الوزير الحالي للصـناعة طلـب رشـوة جديـدة مـن

الاحتكارات الأجنبية بعد أن تقاضي رشوة أيام أن كـان وكيلاً لوزارة الصناعة . ولما طلب تجديد مبالغ الرشـوة وزيادة مقدارها رفضت الاحتكارات الأجنبية لأنها كانـت تغلغلت في الاقتصاد ، لذلك أراد أن ينهي وجودها مبرراً ذلك بأنها دخلت البلاد بطريق الرشوة والفسـاد ، وهـو يحاول أن يلصق التهمة بالوزير السابق .

غير أن المستشارين الذين يحاكمون الوزير لم يقتنعوا بدفاع الوزير . وتأكد لهم ذلك من اعتقاله لابـن العـالم توفيق في قصره المنيف تحـت الأرض . وقـد وجـدت النيابة العامة الابن معتقلاً في زنزانة مقفلة عليـه تحـت الأرض . فكيف دخلها ؟ .. وكيف قفـل عليـه البـاب بالمفتاح ؟ .. وأسقط في يد الوزير ولم يستطع أن يجيب .

تذكر وليد الهمسة التي همس بها أبوه قبل أن يـذهب مع وكيل النائب العام. وكان قـد سـأله : لكـن الفـص الكهربائي يفتح الأبواب يا أبي . ولم تقل لي إنه يقفلهـا . قال الأب وهو على عجلة من أمره : أذهب إلى الزنزانة التي كنت فيها فافتح الباب لو كان مقفلاً وأدخل الزنزانـة

وأضغط مرتين على القص الكهرماني فيقفل باب الزنزانة بإحكام .

الريـــاض فـــي ١٦ / ٧ / ٢٠٠٢